جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

السنة الثانية ماستر فلسفة عربية إسلامية

السنة الثانية ماستر فلسفة غربية حديثة و معاصرة

مقياس الفلسفة و النقد الثقافي

إدوارد سعيد (1935–2003) هو أحد أبرز المفكرين النقديين في العصر الحديث، ويُعد الأب المؤسس لحقل **"دراسات ما بعد الكولونيالية" (Postcolonial Studies)** و"النقد الثقافي المعاصر". شكّل مشروعه الفكري زلزالاً معرفياً في العلوم الإنسانية، لاسيما من خلال كشفه عن التواطؤ العضوي بين المعرفة (الخطاب الأكاديمي والأدبي) والسلطة (الاستعمار والإمبريالية).

1. الإطار المعرفي: من هو إدوارد سعيد والخلفية الفلسفية؟

وُلد إدوارد سعيد في القدس لعائلة فلسطينية مسيحية، ونشأ بين القدس والقاهرة، قبل أن يستقر في الولايات المتحدة حيث حصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد وأصبح أستاذاً للأدب المقارن في جامعة كولومبيا.

تتغذى مرجعيات سعيد النقدية من تيارات فلسفية متعددة:

- **ميشيل فوكو:** في مفهومه عن "الخطاب" (Discourse) وكيف ترتبط المعرفة بالسلطة. الخطاب عند فوكو ليس مجرد كلمات محايدة، بل هو نظام إنتاج للمؤسسات والممارسات التي تخلق "الواقع" وتضبطه.
- **أنطونيو غرامشي:** في مفهومه عن **"الهيمنة" (Hegemony)**، حيث لا يتم إخضاع الشعوب بالقوة العسكرية البحتة فحسب، بل بالهيمنة الثقافية والفكرية التي تجعل السيطرة مقبولة أو طبيعية من قِبل المستعمَرين أنفسهم.
- **الإنسانية النقدية:** تمسك سعيد بالقيم الإنسانية العالمية مع نقد تطبيقاتها الاستعمارية المزدوجة المعايير.

2. جوهر النقد الثقافي عند إدوارد سعيد

النقد الثقافي عند سعيد لا ينظر إلى النص الأدبي (رواية، قصيدة، رحلة) بوصفه كائناً جمالياً معزولاً عن سياقه التاريخي والسياسي، بل يراه **موقعاً للصراع السياسي والاجتماعي**.

- **الاستراتيجية النقدية:** يدمج سعيد بين "القراءة المحايثة" (تحليل جماليات النص وبنيته) و"القراءة الطباقية" (Counterpoint Reading)، وهي تقنية مستوحاة من الموسيقى حيث يُقرأ النص الغربي مع الانتباه في الوقت نفسه إلى "الغياب المقصود" أو الأصوات المهمشة والمستعمَرة التي يسكتها النص.

3. كتاب "الاستشراق" (1978): التأسيس المعرفي لنقد الإمبريالية

يُعد كتاب *الاستشراق* (Orientalism) بمثابة المانيفستو المؤسس لدراسات ما بعد الكولونيالية والنقد الثقافي.

أ. ما هو الاستشراق عند سعيد؟

الاستشراق ليس مجرد دراسة أكاديمية للشرق من قِبل غربيين، بل هو **"نسق تمثيلي وتخديلي متكامل"** أنتجته المؤسسات والثقافة الغربية للسيطرة على الشرق وإدارته وإعادة إنتاجه. الغرب لم يدرس الشرق كما هو، بل **اختلقه** بما يخدم مصالحه الإمبراطورية.

ب. الآليات المركزية للاستشراق:

1. **الثنائيات القطبية (Binaries):** يقيم الخطاب الاستشراقي حواجز أنطولوجية وإبستمولوجية صارمة بين:
   - **الغرب:** عقلاني، متطور، ديمقراطي، ديناميكي، رجولي (ذكر)، وقادر على الفعل.
   - **الشرق:** عاطفي، جامد، استبدادي، ثابت تاريخياً، أنثوي، وموضوع للفعل لا فاعل.
2. **الجوهرانية (Essentialism):** اختزال مئات الملايين من البشر وثقافاتهم ولغاتهم المتنوعة في "جوهر" واحد ثابت وأزلي (مثلاً: "العقلية الشرقية كذا وكذا").
3. **المعرفة كسلطة:** المعرفة عن الشرق لم تكن بريئة؛ فقد سبقت الجيوشَ والإدارات الاستعمارية ومهدت لها الأرض عبر إقناع الغرب بأن الشرق "قاصراً" ويحتاج إلى "وصاية" و"تمدين".

4. ما بعد الكولونيالية (Postcolonialism): تفكيك المركزية الأوروبية

في أعماله اللاحقة مثل *الثقافة والإمبريالية* (Culture and Imperialism - 1993)، وسّع سعيد أفق نقده ليشمل الإمبريالية الثقافية ككل.

أ. الجغرافيا التخيلية والإمبريالية الثقافية

يرى سعيد أن الإمبريالية لم تكن سيطرة اقتصادية وعسكرية فحسب، بل كانت **مشروعاً ثقافياً** جرى تمريره عبر الأدب الكلاسيكي (مثل روايات جين أوستن أو جوزيف كونراد). فالرواية الأوروبية الكبرى كانت تشرعن بهدوء استغلال المستعمرات كخلفية جغرافية طبيعية لثراء البطل الأوروبي.

ب. نقد "المثقف العضوي" و"المنفى"

- **المثقف المستقل:** يرى سعيد أن دور المثقف الحقيقي هو أن يكون "منفياً داخلياً"، صوتاً معارضاً للسلطة أينما وجدت، يدافع عن المهمشين ولا ينخرط في الشوفينية القومية أو الأيديولوجيات المغلقة.
- **رفض الثنائيات الهوياتية المطلقة:** حذر سعيد من الوقوع في فخ "الأصالة المغلقة" أو نفي الغرب كلياً، داعياً إلى تبني هويات هجينة متجددة تنفتح على الحوار الإنساني العابر للثقافات.

5. الخلاصة والأهمية المعاصرة

1. **إعادة كتابة التاريخ:** نزع الحصانة عن الخطابات الأكاديمية الغربية الكبرى وإظهار خلفياتها الإيديولوجية.
2. **تمكين المهمشين:** منح الشعوب المستعمرة صوتاً نقدياً لتفكيك الهيمنة السردية للرجل الأبيض.
3. **تأسيس حقل واسع:** فتح الباب لظهور مفكرين كبار مثل غاياتري سبيفاك وهومي بابا، لتعميق نقد الكولونيالية من زوايا الجندر والتهجين الثقافي.